ملخّص ما بين واقعين واقع الدنيا وواقع الدين (ح٣٠) / عبد الحليم الغزّي
معالم المذهب الطوسي (ق٧)
الخميس : ٢٨/ربيع الثاني/١٤٤٤هـ - الموافق ٢٤/١١/٢٠٢٢م

الجزءُ الحادي عشر من عُنواننا الـمُتقدِّم في الحلقات الماضية: **"الـمَذْهَبُ الطوسيّ"**.
الـمَعْلَمُ الثاني: **"نقضُ أصلِ الدِّيانة الـمُحَمَّديَّة العَلَويَّة "**، فهذه الدِّيانَةُ تعتمدُ على أصلٍ واحد الـمَذْهَبُ الطوسيّ نَقَضَ هذا الأصل وجاء بمنظومة عَقائديَّة مسْخٍ مُدجَّنَة تبتني على خمسة أصول جاء بها من الأشاعرة والمعتزلة ومَازَجَ فيما بينها مَزْجاً شَيطانياً خبيثاً، ثُمَّ رَجَعَ إلى هذه الأصول بعدَ أن ضَحِكَ على الشيعة وقالَ لَهُم هذه أصول الدِّين...
الآيةُ الثالثة والأربعين بعدَ البسملة من سورة الرعد وهي آخرُ آيةٍ فيها: ﴿**وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً** - الَّذينَ كفروا يقولونَ لرسول اللّه لَسْتَ مُرْسَلاً - **قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ**﴾.
في الجزء السادس من (تفسير التبيان)، ماذا يقولُ الطوسي فيها: **حكى اللّهُ تعالى عن الكُفَّار أنَّهم يقولونَ لكَ يا مُحَمَّد إنَّكَ لَسْتَ مُرسَلاً من جهته تعالى، فَقُل لهم أنت: حَسبي اللّه شَهيداً بَيني وبينَكُم ومَن عندَهُ علمُ الكتاب، وقيل في معناه ثلاثةُ أقوال: أحدُها رُوي عن ابنِ عبّاس أنَّهُ قالَ هُمُ أهلُ الكتاب الَّذين آمنوا من اليهود والنصارى** - "وَمَنْ عندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ" - **فإنَّ اللّهَ جعلَ نفسهُ شَهيداً لمُحَمَّد صلّى اللّهُ عليه وآله وجعلَ معهُ اليهود والنصارى الَّذين أسلموا** - هذا الكلامُ منطقيّ؟! تكونُ شهادةُ هؤلاءِ مُساويةً لشهادة اللّه سُبحانهُ وتعالى؟! - **وقالَ قَتادةُ ومُجاهد منهُم** - من هؤلاء الَّذينَ تتحدَّثُ الآيةُ عنهم "وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ" - **منهُم عبد اللّه بنُ سلام، وسلمانُ الفارسي** - لأنَّ سلمانَ كانَ نَصرانياً قبلَ الإسلام - **وتميمٌ الداري، وقالَ الحسنُ** - الحسنُ البصري - **الَّذي عندَهُ علمُ الكتاب هُوَ اللّهُ تعالى وبه قالَ الزجّاج** - باللّه عليكم هذا كلامٌ مَنطقي اللّه هكذا يقول: ﴿**قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ**﴾ هُوَ اللّه؟! وكذلكَ اللهُ يشهدُ لكَ، ما هي الآيةُ ذكرت شَهادة اللّه هذا شاهدٌ ثاني، هل مثلُ هذا القول السَّخيف بحاجةٍ أن يُذكَر وحتَّى لَو أرادَ أن يَذكُرَ الأقوالَ السخيفةَ فلابُدَّ أن يُعلِّقَ عليها، والأسخفُ من هذا قَدَّم كُلَّ هذا على ما جاء عنهم صَلواتُ اللّه عليهم، ولو كانَ قادراً على أنْ لا يَذكُرَ ما جاء عنهم لَمَا ذكر واكتفى بهذه السخافات، ولكنَّ الأمرَ من الواضحات بخصوص هذه الآية في الثقافة الشيعيّة.
-**وقال أبو جعفر وأبو عبد اللّه صلواتُ اللّه عليهما** - الباقر والصّادق - **هُم أئمَّةُ آلِ مُحَمَّد صلّى اللّهُ عليه وآله وسلّم لأنَّهم الَّذينَ عندَهُم علمُ الكتاب بجملته لا يَشذُّ عنهُم شيءٌ من ذلك دُونَ مَن ذكروه** - دُونَ مَن ذكروه: مَن جاء مذكوراً على لسانِ ابن عباس أو على لسانِ قَتادة ومُجاهد، ليس هُناكَ مَن ذكر واضحٌ لأمير المؤمنين، لأنَّ الآيةَ في الأساس بشكلٍ مُباشرٍ تتحدَّث عن أمير المؤمنين وتنطبقُ على بقيَّة الأئمَّة، لكن يُفترَضُ بحسبِ سياق الآية فإنَّ الآيةَ تتحدَّثُ عن زمانِ رسول اللّه، والشهادةُ هُنا هي شَهادةُ اللّه وشهادةُ أمير المؤمنين، لكنَّهُ ليسَ هُناكَ من ذكرٍ لأمير المؤمنين، هُنا في مقامِ المدحِ والكَمال لا يذكرُ أمير المؤمنين، ولكن في مقام التنقيص يَضرِبُ مثالاً بأمير المؤمنين: **"ولا يلزمُ أن يكونَ أمير المؤمنين عالماً بجميع الشرع في حياة النَّبي"**، في مجال التنقيص يضربُ أمير المؤمنين مثالاً، أمَّا في تفسير الآية الخاصَّة بأمير المؤمنين والَّتي تتحدَّثُ عَن علمه المطلق لا يذكرُهُ بالاسم، هذا هو واقعُ الـمَذْهَب الطوسي، هذه الأمورُ يفعلُها الطوسي من دُون التفات من دُونِ تَعمُّد؟ لماذا الأمرُ هكذا على طول الخطِ في حياته لماذا؟ لو لم تكنْ هذه القضيَّةُ موجودةً في داخله لَمَا فعلَ هكذا..
مَاذا يقولُ آلُ مُحَمَّد صلواتُ اللّه عليهم؟
في الجزء الأوَّل من الكافي/ طبعةُ دار الأسوة/ طهران - إيران/ صفحة (٢٥٦)، بدايةُ سند الحديث في صفحة (٢٥٥)، الحديثُ السادس: **عَن ابن أبي عُمَير، عَن ابنِ أُذَيْنَة، عَن بُرَيد بنِ مُعاوية، قَالَ: قُلْتُ لأبي جَعْفَر** - هذا هو بُريدٌ العجلي رضوان اللّه تعالى عليه من خواصِّ الأئمَّة - **قَالَ: قُلتُ لأبي جَعْفَر** - لإمامنا الباقر صلواتٌ وسلامٌ عليه - "**قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عندَهُ علْمُ الْكِتَابِ**" - إمامُنا الباقر يقول: **إيَّانَا عَنَى وَعَلِيٌّ أوَّلُنَا وَأفْضَلُنَا وَخَيرُنَا بَعْدَ النَّبي** - هكذا يتحدَّثُ الأطهارُ صلواتُ اللّه عليهم - **بَعْدَ النَّبي صَلّى اللّهُ عَلَيه وَآله.**
في (تفسير القُمّي):
طبعةُ مؤسّسة الأعلمي/ بيروت - لبنان/ الصفحة الثانية والأربعين بعدَ الثلاث مئة، عليّ بن إبراهيم يقول: **حَدَّثني أبي، عَن ابنِ أبي عُمَير، عَن ابنِ أُذَينَة، عَن إمَامنَا الصَّادق** - يبدو أنَّ ابنَ أُذَيْنَة هذا مُهتمٌّ بهذا الموضوع، إمامُنا الصَّادقُ يقول: **الَّذي عِنْدَهُ علْمُ الكتَاب هُوَ أمير الْمُؤْمنين، وَسُئل** - سُئلَ الإمام الصَّادق - **عَن الَّذي عِنْدَه علْمٌ منَ الكتَاب** - ما جاء في سورة النمل في قصة آصف بن برقيا، ابن برخيا الَّذي عندَهُ علمٌ من الكتاب، وفي أحاديث العترة كانَ عندَهُ حرفٌ واحد - **وَسُئلَ عَن الَّذي عِنْدَهُ علْمٌ منَ الكتَاب أعْلَمُ أم الَّذي عِنْدَهُ علْمُ الكتَاب؟ فَقَالَ: مَا كَانَ علْمُ الَّذي عِنْدَهُ علْمٌ منَ الكتَاب عِنْدَ الَّذي عِنْدَهُ علْمُ الكتَاب إلَّا بِقَدْر مَا تَأخُذُ البعُوضَةُ بِجنَاحِهَا منْ مَاء البَحْر، فَقَالَ أمير الْمُؤْمنين** - إمامُنا الصَّادقُ يُحدِّثُنا عن أمير المؤمنين - **أَلَا إنَّ العلْمَ الَّذي هَبَطَ به آدَمُ منَ السَّمَاء إلَى الأرْض وَجَميعَ مَا فُضِّلَت به النَّبيُّون إلَى خَاتَم النَّبيِّين في عتْرَة خَاتَم النَّبيِّينَ صَلّى اللّهُ عَلَيه وآله** - هذه أحاديثُهم، وهذه كلماتُهم، وأعتقدُ أنَّكُم تتلمَّسونَ انسيابها إلى قُلوبكم بنحوٍ تلقائيٍّ وبطريقةٍ فطريّةٍ ووجدانيّةٍ من دُونِ صُعوبةٍ وتكلُّف، بينما حين أقرأُ عليكُم من هُراء الطوسي هذا وأمثاله تُلاحظونَ العُسْرَ في تلقّي هذه الضلالات..
ثُمَّ ماذا يقولُ الطوسي؟ لاحظوا بعدَ أنْ قالَ ما قالَ وأوردَ ما أوردَ من سخافاته يذهبُ إلى تنقيص مقدارِ علمِ الَّذينَ عندَهم علمُ الكتاب يقول: **والكفايةُ** - "الكفايةُ"؛ يُشيرُ إلى ما جاء في الآية "قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ" - **والكفايةُ وجودُ شيءٍ على قَدْرِ الحاجة** - يعني أنَّ الَّذينَ عندَهم علمُ الكتاب ما عندَهُم علمٌ كامل، وإنَّما عندَهُم علمٌ في شهادتهم بقدرِ الحاجة، بينما الآيةُ واضحةٌ حينما نقول: **"قُلْ كَفَى بِاللّه"**، الكفايةُ باللّه كفايةٌ لا حدودَ لها مُطلقةٌ، ثُمَّ يأتي العطفُ بحرف الواو، فالكفايةُ عندَ الَّذينَ عندَهُم علمُ الكتاب كالكفايةِ عندَ اللّه، مثلما نقرأُ في أدعية الفرج: (يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيُّ يَا عَلِيُّ يَا مُحَمَّدُ اكْفِيانَا فَإنَّكُمَا كَافِيَان)، فإنَّكُما كافيان بنحوٍ مُطلَق، كفَايتُهم كفايةُ اللّه..
- **فكأنَّهُ قيلَ قَد وَجدَ من الشهادَة مقدارُ ما بِنا إليه الحاجةُ في فَصلِ ما بيننا وبينَ هؤلاء الكُفَّار** - ألا لعنةٌ على تفسيرِكَ هذا، ألا لعنةٌ على دينكُم هذا، هكذا يتعاملونَ مع مُحَمَّد وآل مُحَمَّد هذا هو منطقهم منطقُ الطوسيين..
في الآية التاسعة والثمانين بعدَ البسملة من سورة النحل: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾، هذا المعنى كانَ مُتحقِّقاً في أمير المؤمنين أو لم يكُن مُتحقِّقاً في أمير المؤمنين زمانَ رسول اللّه؟ ورسولُ اللّه هو الَّذي يقولُ: (عَلِي مَعَ القُرآن وَالقُرآنُ مَعَ عَلِي)، فحينما يقولُ رسولُ اللّه: (عَلِيٌّ مَعَ القُرْآن وَالقُرْآنُ مَعَ عَلِي) يتحدَّثُ عن الزَّمان الَّذي من بعده؟! ما هو الدليلُ على ذلك؟ حينما يُشيرُ إلى عليٍّ الَّذي كانَ موجوداً في أيَّامه ويقول: (عَلِيٌّ مَعَ القُرآن وَالقُرآنُ مَعَ عَلِي)، إنَّهُ يتحدَّثُ عن القُرآن بكامله، ما قالَ عليٌّ مع قُرآنِ سورة البقرة وإنَّما ذكَرَ القُرآنَ مُعرَّفاً بالألف واللام، وهذه الألفُ واللام هي

ألفُ ولام العهد، يعني هُو القُرآنُ المعهودُ في أذهاننا، فعليٌ معَ القُرآن والقُرآنُ معَ عليٍ، يعني أنَّ عَلياً كانَ عَالماً بالقُرآن قبلَ تَنزيله مثلما هُوَ رسولُ اللّه، عمليَّة التَّنزيل لم تَكُن لتعليم النَّبي ولتعليم عليٍ، عمليَّةُ التَّنزيل برنامجٌ يتناسبُ معَ حاجة الأُمَّة، التَّنزيلُ قَالَبٌ لَفظيّ؛ ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** - وتَمّ تنزيلُه - **وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾، هذه الحقيقةُ القُرآنيّةُ هي حقيقةُ مُحَمَّد وعليٍ صلَّى اللّهُ عليهما وآلهما، وهذا معنى قول النَّبي: (من أنَّ عَلياً معَ القُرآن ومن أنَّ القُرآنَ معَ عَلي)، الحديثُ هُنا ليسَ ناظراً إلى آيات نَزلت في يوم كذا وفي مكان كذا وبسبب حادثة كذا.

﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ** - نَزَّلناهُ مَرَّةً واحدة، هذا التنزيلُ التدريجيّ يرتبطُ بحاجة الأُمَّة ويتناسبُ معَ مُداراة عَقلها الجمعي - **تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾، تِبياناً لكُلِّ شَيء، إذا كانَ الحديثُ عن تنزيل آية لواقعة هُنا ولواقعَة هُناك فهذا ما هو بتبيانٍ لكُلِّ شيء، وإنَّما نَزلَ الكِتابُ نزلةً واحدةً بكُلِّ مَضامينه وحَقائقه العَميقة النُّوريَّة الغائرة في عالم الغَيب تلكَ هيَ المنزلةُ الَّتي يكونُ القُرآنُ فيها تبياناً لكُلِّ شيء..

النَّبيُّ قالَ لأمير المؤمنين: (إنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى لَكِنَّكَ لَسْتَ بِنَبِي)، "لَستَ بِنَبِي "؛ لكنَّكَ لستَ بدرجتي هذا هو المراد، هذا الكلامُ قالهُ النَّبيّ لأمير المؤمنين في أوَّل لحظة من البعثة الشريفة، يعني أنَّ أمير المؤمنين كانَ في العاشرة من السنين، هذه الكلمةُ قالها النَّبيّ صلَّى اللّهُ عليه وآله لأمير المؤمنين في غارِ حراء، فهذا عن أيِ عليٍ يتحدَّث؟ عن أيِ علي يتحدَّثُ هذا الطوسي الأثول؟!

في الآية الثالثة والأربعين بعدَ البسملة من سورة الرعد: ﴿**وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ**﴾، الكتابُ جاءَ مُعرَّفاً بالألف واللام، الألفَ واللام هُنا هي ألفُ ولامُ الحقيقة وليست العهديَّة، لأنَّنا لا نَعرفُ حقيقة هذا الكتاب، فهذا الكتابُ لَيسَ معهوداً في أذهاننا، الألف واللام هيَ ألفُ ولام الحقيقة، فهذا الشاهدُ الثاني الَّذي يأتي بشهادته مُصاحباً لشهادة اللّه هُو الَّذي عِندَهُ عِلمُ حقيقة الكتاب، إنَّهُ الكِتابُ الَّذي يَجمعُ حقائقَ الوجود، الكلامُ هُنا لَيسَ عن القُرآن.

القرينةُ واضحةٌ في سورة النمل: ﴿**قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ** - الآيةُ الأربعون بعد البسملة من سورة النمل، هُو هنا لم يُصدر فتوىً من الفتاوى، ولم يذكُر آيةً من آيات القُرآن مثلاً، وإنَّما تَصرَّفَ في التكوين، تصرَّفَ في الوجود - **أَنَا آتِيكَ بِهِ** - الحديثُ عن عرش بلقيس - **قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ** - وجاءَ به - **فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِراً عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي** - هذا كلامُ سُليمان النَّبي فآصفُ وَصيّهُ، هُو لم يُصدر حُكْماً في حلال أو حرام إنَّهُ تَصرَّفَ في التكوين فجاء بعرش بلقيس من اليمنِ إلى فلسطين، فَعِلْمُ الكتابِ لا علاقة لهُ بأحكام الحلالِ والحرام أو بأسبابِ نزول الآيات، هذا شأنٌ يقعُ في حاشية عِلْمِ الكتاب، هذا عِلمُ الحقيقة، هذا كتاب الوجود.

آصفُ لا يعلمُ بحقيقة الكتاب (عندَهُ عِلْمٌ منَ الكتاب)، عِلْمٌ من الكتاب لا يعني أنَّهُ يَعلمُ حقيقةَ الكتاب، (الَّذي عِندَهُ عِلم الكِتَاب) الألفُ واللامُ هُنا حقيقيَة، بينما الألفُ واللام في سورة النملَ عهديّة، فَارقٌ كَبير في المَعنى..

ويقولُ أيضاً هذا الطوسيّ السَّخيف في كتابه (تلخيص الشَّافي): **وممَّا يدلُّ أيضاً على أنَّ الإمامَ يجبُ أن يكونَ أكثرَ ثواباً من رعيّته أنَّا قد دَلَّلنا على أنَّ قَولهُ حُجَّةٌ في الشرع، وإذا ثَبتَ ذَلك وجبَ أن يُنفى عنهُ ما يَقدَحُ في ذلك ويُنفِّرُ عنه، ونحنُ نعلمُ أنَّ النَّاسَ إذا قطعوا على أنَّهُ ليسَ في رَعيَّته مَن يَفضلُهُ في الثواب، أو يُساويه في ذلك، كانوا أسكنَ إلى قَبولِ قوله والانقياد لأمره ونهيه منهم إذا قطعَ وا أو جَوَّزوا أن يكونَ في رعيّته مَن يَفضلُهُ في الثواب أو يُساويه**

- هُراءٌ من القول وسُخفٌ عَلَّقتُ عليه في الحلقة الماضية، فهو يشترطُ في الإمام أن يكونَ أكثر ثواباً من رعيّته..

بقي عندي من ضلال هذا الطوسي ما يرتبطُ بالشَّفاعة الَّتي تحدَّثَ عنها وفقاً لرؤية الأشاعرة، فَهُو هُنا يَتحدَّثُ مُعتقداً بعقيدة الأشاعرة ويُريدُ من مُقلِّديه أن يَتَّبعوا عقيدةَ الضلالِ هذه، جعلَ الشَّفاعةَ خاصَّةً بالنَّبي لم يُشر إلى مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد، قد يقولُ قائلٌ: إنَّهُ ذَكَرَ في كُتُبه الأخرى ذِكرَ الأدعيةَ والزيارات وذَكَرَ الكثيرَ من الروايات، هُو هُنا يُحَدِّدُ بشكل واضح العقيدةَ الواجبة، أمَّا تلكَ الروايات لا يوجدُ دليلٌ على أنَّهُ يعتقدُ بِها، إنَّما هُوَ جَمعَها في كُتب الحديث وهو لا يقبلُها بتمامها وكمالها، هُنا في مُقدِّمة الكتاب ماذا قال؟

قالَ عن هذا المختصر عن هذه الرسالة: (**يشتملُ على بيانِ ما يجبُ اعتقادهُ ومعرفتهُ ويلزمُ العَملُ بهِ والمصيرُ إليه ممَّا لا يخلو منهُ مُكلَّفٌ في حالٍ من الأحوال**)، هذه عقيدةٌ لابُدَّ من الالتزام بها.

هذا الكلامُ ذكرَهُ على سبيل الإيجاز فَهُو ليسَ للمُناقشة وللاحتجاج على الآخرين، إنَّهُ بيانٌ في رسالة عمليّة عقائديّة للمُكلَّفينَ من مُقلِّديه، يُريدُ من مُقلِّديه أن يعتقدوا بهذه العقائد على نحو الوجوب؛ "من أنَّ أميرَ المؤمنينَ زمانَ النَّبي لم يَكُن عالماً بِكُلِّ الشرع"، منَ طيَّحَ اللّه حظّك وحَظ مُقلِّدينك على هذه العقيدة الضالّة..

في آخر الحلقة شيءٌ من عَبقِ الزيارة الجامعة الكبيرة؛

في (مفاتيح الجنان)، آخذُ بعضَ العناوين من هذه الزيارة الشريفة:

مثلاً هذا العنوان في أوَّل الزيارة ونحنُ نُسَلِّمُ عليهم: (**وَأَوْلِيَاءَ النِّعَمِ**)، إنَّهُم أولياء النِّعم، الألفُ واللام هُنا للاستيعاب، لاستيعابِ كُلِّ النِّعم، ما المرادُ من وَلِيِّ النِّعمة؟ هُوَ مَالِكُها والمتصرِّفُ فيها، والَّذي لهُ أن يضعَها حيثُما يُريد ولهُ أن يمنعَها من أيِ جهةٍ من الجهات، هُو الَّذي يُعطي وهُو الَّذي يمنع فَهُو صاحبُ هذه النِّعَم.

هذا العنوانُ يدلُّ على كَمَالهم، وإلَّا كيفَ صاروا أَوْلياءَ لكُلِّ النِّعم؟! الوَلايةُ هي القُدرةُ على التصرُّف، والحديثُ هُنا عن كُلِّ النِّعَم، عن نعَمٍ في عالم الغَيب، وعن نعَمٍ في عالم الشهادة، عن نعَمٍ ماديَّة، وعن نعَمٍ معنويَّة، عن نِعَمٍ تَخصُّ الإنسان، وعن نِعَمٍ تخصُّ الحيوان، وعن نِعَمٍ تخصُّ النَّبات، وعن نِعَمٍ تخصُّ الملائكة، وعن نعَمٍ تَخصُّ الجان وعن وعن وعن، إنَّها جميعُ النِّعَم..

أيضاً من جملةَ العناوين الَّتي تحدَّثت عنها الزيارةُ الجامعةُ الكبيرة ونحنُ نُسَلِّمُ عليهم: "**السَّلَامُ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللّه**"، إلى أن نقولَ: "**وَالْمُظْهِرِينَ لِأَمْرِ اللّه وَنَهْيِه** "، يُظهِرونَ أمرَهُ ونَهيه، أوَّلُ شيءٍ لابُدَّ أن يكونوا عالمينَ بِما يُريدُ اللّه، والحديثُ هُنا عن مُطلَقِ أمرِه ومُطلَق نَهيه، هذا يعني أنَّ عِلْمَهم عِلْمهُ سُبحانهُ وتعالى.

"**وَالْمُظْهِرِينَ لِأَمْرِ اللّه وَنَهْيِه** "؛ هذا الوصفُ جاء بعَد سلسلة طويلة من الأوصاف؛ منها "الـمُستَقرّونَ في أَمْرِ اللّه"، ومنها "التَّامّونَ في مَحَبَّة اللّه"، وهذه كُلُّها تُشيرُ إلى كَمالِ تا م في جميع شؤونهم وأحوالهم، هُم الَّذينَ يُظهِرونَ أَمرَهُ ونَهيه، عمليَّةُ الإظهارِ كيفَ تَتمّ؟ بحسبِ كُلِّ عالمٍ من العوالم؛

- إنَّهم يُظهِرونَ أمر اللّه ونَهيه للملائكة بحسبهم.
- ويُظهرونَ أمر اللّه ونَهيه للجانِّ بحسبهم.
- ولسائر المخلوقات في السّماوات، دَواب السّماوات..

قد يكونُ هذا الإظهارُ بالوحي، فإنَّ الوحي يكونُ من قِبلهم، يُوحونَ إلى الملائكة..

نقرأ أيضاً في الزيارة الجامعة الكبيرة: (**اصْطَفَاكُمْ بِعِلْمِه وَارْتَضَاكُم لِغَيْبِه وَاخْتَارَكُم لِسِرِّه وَاجْتَبَاكُم بِقُدْرَتِه**)، "**اصْطَفَاكُمْ بِعِلْمِه**"؛ علمُ اللّه لا يتجزّأ، فحينما اصْطَفَاهُم بِعلمِه وهُم الأقربُ إليه وهُم صَفوتُهُ فخصَّهم بِعلْمِه الخاصّ به، هُناكَ عِلْمٌ مبثوثٌ في الخلائق حتَّى الجمادات تَمْلكُ عِلْماً كيفَ تُسبِح؟! إنْ من شيء في هذا الوجود إلَّا وهُوَ يُسبح بِحَمْده، التَّسبيحُ بِحمده فَرعُ المعرفة، فرعُ العلم، فَهُناكَ عِلْمٌ في كُلِّ الوجود وفي كُلِّ موجودٍ بحسبه، الزيارةُ لا تتحدَّثُ عنْ هذا العِلْم، هذا عِلْمٌ مَبثوثٌ في الوجود، تتحدَّثُ عن عِلْمٍ خاصٍ باللّه لم يَظهر في هذا الوجود.

جاء في سورة الفجر: ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۝ وَادْخُلِي جَنَّتِي**﴾، المكانُ الوحيد الَّذي جاء فيه هذا التعبير إنَّها جنَّةُ اللّه، الجنَّةُ الخاصَّةُ باللّه، هذا هو العِلْمُ الخاصّ باللّه.

في سورة الجن، الآية السادسة والعشرين بعدَ البسملة وما بعدها: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ**﴾ - "عَالِمُ الْغَيْبِ"؛ إنَّهُ الغَيْبُ كُلُّه، وبعضُ الغَيْبِ مَبثوثٌ في الوجود، الأنبياءُ يعلمونَ الغَيْب بحسبهم، المَلائكةُ تَعلَمُ الغَيْب بِحسبها، حتَّى نحنُ بإمكاننا أن نَعلَم شَيئاً من الغَيْب بحسبنا - **عَالِمُ الْغَيْبِ** - إنَّهُ الغَيبُ الخاصّ باللّه، فهذا الغَيْبُ كُلُّهُ - **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ** - على غَيْبِه الخاص - **فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَداً ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ**﴾، الآيةُ الوحيدةُ الَّتي ذُكر فيها غَيْبُ اللّه الخاصّ به هي هذه الآية، مثلُ هذا التعبير لم يَرِد في مكانٍ آخر من الكتاب الكريم، يأتي الحديثُ عن الغَيْب ومَراتب الغَيب بِكُلِّها، لكنَّ الآيةَ الوحيدةَ في الكتاب الكريم الَّتي تحدَّثتَ عن مرتبةٍ خاصَّة إنَّهُ غَيْبُ اللّه، في كلماتِ أمير المؤمنين يقول: (وَأَنَا الْمُرْتَضَى مِن ذَلِكَ الرَّسُول)، مِن ذَلِك الرَّسُول الـمُصْطَفى.

"**اصْطَفَاكُمْ بِعِلْمِه وَارْتَضَاكُم لِغَيْبِه**"؛ اصْطَفَاكُم وارْتَضَاكُم، ﴿**إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ**﴾، هذا الرَّسُولُ هُوَ الـمُصطفى، والْمُرتَضَى منهُ هُو أميرُنا أميرُ المؤمنين، المضامينُ هي هِي، واللَّحنُ هُوَ هُوَ، الصَّادقُ يقول: (إنَّا لَا نَعدُّ الرَّجُل من أَصْحَابِنَا فَقِيهاً لَبِيباً عَاقلاً حَتَّى يُلْحَنَ لَهُ فِي القَوْل فَيعرفَ اللَّحْنَ فِي القَوْل).

"**وَاخْتَارَكُم لِسِرِّه**"، لسره الخاص، هذا السِّر الخاصّ هو الَّذي استودَعَهُ اللّه في خُزانَة الأسرار؛ "إنَّها فَاطِمَة"، ألَا نُصَلِّي عَلَيهَا وعلى أبيهَا وبَعْلِهَا وبَنِيهَا والسِّرِّ الـمُسْتودَعِ فيها، إنَّها خُزانَةُ الأسرار.

"**وَاجْتَبَاكُم بِقُدْرَتِه**"؛ جَعلَ قُدْرَتَهُ الخاصَّة قُدْرةً لَكُم، وإلَّا هُناكَ قُدرةٌ مبثوثةٌ في هذا الوجود، ألَا أُحدِّثكم؟ هذه قُدرةٌ، ألَا أُحرِّكُ يَدي؟ هذه قُدرةٌ، ألَا أذهبُ إلى شرق الأرض أو إلى غربها؟ هذه قُدرةٌ، عندي قُدرةٌ، عندَ كُم قُدرةٌ، عندَ الملائكة قُدرةٌ، كُلُّ كائنٍ بحسبه، عندَ الحيوانات قُدرةٌ، عندَ هذه الكائنات المجهريّة الَّتي لا نراها بأعيُننا قُدرةٌ، قد تقتُلنا، قد تُميتنا، تُسبِّبُ لَنا الآلام العظيمةَ ونحنُ لَا نراها بأُمِّ أعيُننا، كيفَ يكونُ ذلك؟ إنَّها تمتلكُ قُدرةً وقُدرَتُها من قُدرة اللّه، هُناكَ قُدرةٌ إلهيّةٌ مبثوثةٌ في هذا الوجود، الزيارةُ لا تتحدَّثُ عن هذه القُدرة المبثوثة في هذا الوجود فهي تحتَ سُلطتِهم (وَذَلَّ كُلُّ شَيءٍ لَكُم)، إنَّما الزيارةُ هُنا تتحدَّث عن مَقاماتهم الخاصَّة، فإنَّ اللّهَ جعلَ قُدرَتَهُ الخاصَّة قُدْرَتَهُم، (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ من قُدْرَتِكَ بِالقُدْرَة الـمُسْتَطِيلَة الَّتي اسْتَطَلْتَ بِهَا عَلَى كُلِّ شَيء وَكُلُّ قُدْرَتِكَ مُسْتَطِيلَة)، "وكُلُّ قُدْرَتِكَ مُسْتَطِيلَة"؛ هذه القُدرةُ المبثوثةُ والَّتي هي جزء من قُدرتِه الَّتي تتجلَّى في خَلْقه، مَا يَتجلَّى من قُدرتِه في قُدرةِ خَلْقه، أمَّا القدرةُ المستطيلةُ على كُلِّ شيء هي قُدرتهُ الخاصَّةُ الَّتي تَجلَّت في الحقيقة الـمُحمّديَّة، هذه القُدرةُ الإلهيّةُ الخاصَّة.

هُناكَ زيارةٌ رجبيّةٌ جامعة وردت عن النَّاحية المقدَّسة، الزيارةُ الَّتي أوَّلُها: (**الْحَمْدُ لِلَّه الَّذي أَشْهَدَنَا مَشْهَدَ أَوْلِيَائِه فِي رَجَب وَأَوجَبَ عَلَيْنَا مِنْ حَقِّهِم مَا قَدْ وَجَب**)، نقرأ فيها: **أَنَا سَائِلُكُم وَآمِلُكُم فِيمَا إِلَيْكُم التَّفْوِيض وَعَلَيْكُم التَّعْوِيض** - هذه مظاهرُ قُدرتهم، سُؤالي وأملي يتجهُ إلى قُدرتهم، لو لم تَكُن قُدرتُهم قُدرةَ اللّه لَمَا صارَ السؤالُ والأمَلُ صحيحاً هُنا، فَوَّضَ اللّهُ إليكُم كُلَّ شيء - **وَعَلَيْكُم التَّعْوِيض** - والتَّعويضُ منكُم وبأيديكُم فأنتُم أولياء النِّعم وأنتُم أصحاب الولاية المطلقة على الأشياء تتصرَّفونَ فيها عطاءً ومَنعاً صُعوداً ونُزولاً - **فَبِكُمْ يُجْبَرُ الْمَهِيض** - "الْمَهِيض"؛ هُو المكسور، واللفظةُ في أصلها تُقالُ للطائر الَّذي كُسِرَ جناحهُ أو كُسِرَ جناحاه، لا يستطيعُ الطيران - **وَيُشْفَى الْمَرِيض وَمَا تَزْدَادُ الأَرْحَامُ وَمَا تَغِيض** - "تَغيض"؛ تَنقُص، الزيادةُ من آثارِهم، أمَّا هُم ذواتٌ ليس فيها زيادة - **إِنِّي بِسِرِّكُم مُؤْمِن** - فأنتُم مجمعُ أسرار اللّه - **وَلِقَوْلِكُم مُسَلِّم** - مُسَلِّمٌ لا أعْمِلُ عقلي مع قَولِكم، وكيفَ أعْمِلُ قَولي مع قَولِكم وأنا أعرفُ أنَّ اللّه جعلَكُم خُزانةً لسره؟؟

نقرأ أيضاً في الزيارة الجامعة الكبيرة: (**طَأْطَأَ كُلُّ شَرِيف لِشَرَفِكُم** - هذه العبارةُ كافية، كُلُّ شريفٍ في هذا الوجود، فكيفَ نَتصوَّرُ أنَّ عِلْمَهم ناقصٌ؟! أنَّهم يُقَايَسُونَ في الثوابِ مع رَعيّتهم؟! وكيفَ نَتصورُ أنَّ شفاعَتَهُم منقُوصةٌ بحدود إسقاط المضارّ؟!

وأيضاً نُخاطبهم في الزيارة نفسها: (**وَذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ**)، أكانَ شريفاً أم لم يَكُن شريفاً.

الَّذي نقرؤهُ في دُعاء السّحر: **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ شَرَفِكَ بِأَشْرَفِه** - فأشرفُ الشَّرف هُو هذا الَّذي تحدَّثت عنهُ الزيارةُ الجامعة: (**طَأْطَأَ كُلُّ شَرِيف لِشَرَفِكُم**)، في دُعاء السّحر: **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ شَرَفِكَ بِأَشْرَفِه وَكُلُّ شَرَفِكَ شَرِيف، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِشَرَفِكَ كُلِّه** - هذا شَرَفُهم، شرفُ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد.

"**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ عِزَّتِكَ بِأَعَزِّهَا**"، أعزُّ العِزَّة هي هذه الَّتي ذَلَّ لها كُلُّ شيء، "**وَذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لَكُم**".

المضامينُ هي هي الَّتي نقرؤها في مُقدِّمة دُعاء كُميل: (**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَبِقُوَّتِكَ الَّتِي قَهَرْتَ بِهَا كُلَّ شَيْءٍ وَخَضَعَ لَهَا كُلُّ شَيْءٍ وَذَلَّ لَهَا كُلُّ شَيْءٍ وَبِجَبَرُوتِكَ الَّتِي غَلَبْتَ بِهَا كُلَّ شَيْءٍ وَبِعِزَّتِكَ الَّتِي لَا يَقُومُ لَهَا شَيْءٌ**)، "بِعِزَّتِكَ الَّتِي لَا يَقُومُ لَهَا شَيءٌ"، هي هي الَّتي في الزيارة الجامعة الكبيرة: (وذَلَّ كُلُّ شَيءٍ لَكُم)، وهي هي الَّتي في دُعاء السَّحر: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ عِزَّتِكَ بِأَعَزِّهَا وَكُلُّ عِزَّتِكَ عَزِيزَة، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِعِزَّتِكَ كُلِّهَا)، هي هي الَّتي تتجلَّى في دُعاء كميل: (**وَبِعَظَمَتِكَ الَّتِي مَلَأَت كُلَّ شَيء**)، إنَّهُ دُعاءُ شهر رجب: "فَبِهِم مَلَأتَ سَمَاءَكَ وَأَرْضَكَ حتَّى ظَهَرَ أَنْ لَا إِلَه إِلَّا أَنْت".

فماذا تقولونَ وهذه الأدعيةُ والزياراتُ وَفَّرها الأئمَّةُ لعوامِّ الشيعة وخَواصِّهم وقالوا لنا من أنَّهُ: (ألا لَا خَيرَ في قراءةٍ لَيسَ فيها تَدبُّر)، هذا قولُ أمير المؤمنين، وهذا الَّذي ذكرتهُ لَكُم صَدِّقوني في حاشية المطلب، هَذه النصوصُ عميقةٌ، المعاني عميقةٌ جِداً، أنا أقومُ هُنا بعمليّة مُقارنة لَفظيّة بينَ النصوص، ما توغَّلتُ في أبعادها العميقة، إنَّها مُجرَّدُ عمليّة ربط فيما بين النصوص، بحسبِ ظواهر ألفاظها من دُون التوغّل في لطائف مَعانيها العَميقةِ جِداً والَّتي تأتي مُتناغمةً مع عميق القُرآن وعميقِ بواطنِ حديثهم الَّذي نُؤمنُ بظاهره في كُلِّ أفاقه وبباطنه في كُلِّ أغواره العميقة.

أشيرُ إلى عنوانٍ واحد جاء في مُقدِّمة الزيارة يجمعُ كُلَّ هذا، نحنُ نُسَلِّمُ عليهم في الزيارة الجامعة الكبيرة: (**السَّلَامُ عَلَى أَئِمَّةِ الْهُدَى وَمَصَابِيحِ الدُّجَى**)، إلى أن نقولَ: (**وَالْمَثَلِ الْأَعْلَى**)، هذا هو العنوانُ الجامع؛ "الْمَثَلُ الأعلى" لمن؟ هل هُم مثلٌ أعلى لِي ولكُم هَذا الكلامُ يكونُ منطقياً؟! حتَّى لو كُنَّا نعتقدُ بمستوى عقيدة الطوسيين سود اللّهُ تعالى وُجوهَهم على عقائدهم الضالّة، حتَّى لو كُنَّا نعتقدُ بمستوى عقائد الطوسيّين فلا يَصحُّ أن يكونَ مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد مَثلاً أعلى لي ولكُم، إنَّهُم الْمَثَلُ الأعلى للّه، فَنحنُ هكذا نُسَلِّمُ عليهم: (**السَّلَامُ عَلَى أَئِمَّةِ الْهُدَى وَمَصَابِيحِ الدُّجَى وَأَعْلَامِ التُّقَى وَذَوِي النُّهَى وَأُولِي الحجَى وَكَهْفِ الوَرَى وَوَرَثَةِ الأَنْبِيَاءِ وَالْمَثَلِ الأَعْلَى وَالدَّعْوَةِ الْحُسْنَى وَحُجَجِ اللّه**)، العناوينُ المتقدِّمة تُضافُ إلى اللّه مثلما أُضيفَت الحُجج إلى اللّه، "**وَالْمَثَلِ الأَعْلَى**"؛ إنَّهُ المثَل الَّذي يتحدَّثُ عنهُ القُرآنُ في سورة النحل في الآية الستين بعدَ البسملة: ﴿**لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ** - لا شَأنَ لنا بِهم - **وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾، أينَ هُو هذا المَثَلُ الأعلى؟ هو هذا الَّذي ذُكر في الزيارة الجامعة الكبيرة، إنَّهُ المعصومُ الَّذي يجبُ علينا أن نعرفهُ هكذا: (النُّخعي قالَ

للإمام الهادي: عَلِّمْني يَا ابْنَ رَسُولِ اللّه قَوْلاً أَقُوْلُهُ بَلِيغَاً كَامِلاً إِذَا زُرْتُ وَاحِداً مِنْكُم)، الإمامُ عَلَّمَه الزيارةَ الجامعةَ الكبيرة ورَسمَ لَهُ فِيها لَوْحةً لِلمَثَل الأَعْلى للّه سُبحانهُ وتعالى..

الكلامُ هُوَ هُوَ في سورة الروم في الآية السابعة والعشرين بعدَ البسملة: ﴿**وَهُوَ الَّذي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْه وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى** - أين؟ - **في السَّمَاوَات وَالْأَرْض وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكيمُ**﴾، مَثَلُهُ الأعلى موجودٌ في السَّماوات والأرض، ما هُو هذا الـمَثَلُ الأعلى؟ أينَ هُوَ هذا الـمَثَلُ الأعلى؟ إنَّهُم هُم الَّذين نُسَلِّمُ عليهِم في الزيارة الجامعة الكَبيرة: (**السّلَامُ عَلَى أَئِمَّة الهُدَى وَمَصَابِيحِ الدُّجَى**)، إلى أن نقولَ: (**وَالْمَثَل الأَعْلَى وَالدَّعْوَةِ الحُسْنَى وَحُجَج اللّهِ عَلَى أَهْل الدُّنْيَا وَالآخرَة وَالأَوْلَى وَرَحْمَةُ اللّه وَبَرَكَاتُه**).

أتمنَّى أن تُقَارنوا بينَ هذينِ المنطقَين؛ بينَ منطق قناة القَمَر الَّذي يَستندُ إلى البراءة مِن السَّقيفتين من سقيفةِ بني ساعدة وسقيفةِ بني طوسي، ويُبايع البَيعتين إنَّهما بيعةُ الغدير الأولى بيعةُ الأمير، وبيعةُ الغدير الثانية بيعةُ قائمِ آلِ مُحمَّد.